البحث الأول

إِن الدين عند الله الإِسلام

الإسلام وكونه هو الدين الحق

إن الدين عند الله الإسلام

خصائص الدعوة الإسلامية

الهيمنة والعالمية، والشمول والكمال الدوام

الوحى دليل وجود الله سبحانه

وحى الله سبحانه إلى أنبيائه دليل وجوده، ودليل خلقه لهذا الخلق وهؤلاء الناس. لأنه ما كان من الجائز عقلا أن يرسل الله وحيا الى عباده عن طريق أنبيائه إلا اذا كان هو الذى خلق هولاء العباد. لان مجيىء هذا الوحى بالكيفية التى قرأناها فى القرآن الكريم، وعرفناها عن رسولنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما وقعت له وللأنبياء قبله، وفى الكتب السابقة لكتابه لا يستطيعه، ولا يقوم به الا خالق الخلق والقاهر فوق عباده.

وقد وجدنا عاقبة المكذبين لهذا الوحى وللأنبياء على مر التاريخ خسفا وإهلاكا، وتدميرا، وإغراقا. ثم انتصارا للأنبياء ومن آمن بهم وظهورهم على هؤلاء المكذبين: **﴿ فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) ﴾**

[العنكبوت : ٤٠].

وإذا كان هذا الذى وقع بهؤلاء المكذبين نتيجة تكذبهم للوحى ولرسلهم فإن الذى أوقع هذا بهم هو مرسلهم ومرسل الوحى هو الله وذلك دليل وجوده.

ولا يفعل كل ذلك الا القوى القادر، الخالق الرازق القاهر الجبار.

والذى فعل هذا كله يقول أيضا عن الغلبة لأنبيائه، **﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ (١٧١) إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ (١٧٢) وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ (١٧٣) ﴾**

[الصافات : ١٧١ - ١٧٣].

﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ

﴿بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ (١١٠)﴾ [يوسف: ١١٠].

فمرسل الوحى، أرسله إلى مخلوقين ضعاف، هم فى قبضة صاحب الوحى يتصرف فيهم كيف يشاء، فإما يحييهم الحياة الطيبة إذا آمنوا، وإما يذيقهم العذاب الأليم إذا كفروا وكذبوا الرسل، وقد وقع ذلك ونزل بالناس. فدل هذا على أن مرسل الوحى هو القادر على خلق هؤلاء البشر وما يعيشون فيه، وما يرونه ويسمعونه فى الأكوان وهو المصرف لأمورهم وللحياة، فهو موجود.

وكان ذلك طبيعيا، لأنه لابد لخالق هؤلاء الناس أن يتصل بهم ويعرفهم بنفسه، لأنه ما كان من المعقول أن يخلق الخلق ويهملهم لأن الإله الخالق؛ لابد وأن يرعى ويعدل فيما خلق: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)﴾ [القيامة: ٣٦]. وهذا من الواجب فى حقه سبحانه. كما أنه كى يدفع الناس إلى الهداية، لابد وأن يعرفهم بنفسه، وبما أفاضه عليهم من نعم، وحباهم به من مكارم وهبات لا تعد ولا تحصى.

فالوحى أو الدين هو الصلة بين الله وبين عباده، أو الوصلة بين الأرض والسماء. وإلى جانب ذلك كان الدين ضروريا للناس رحمة بهم، ومظهرا كبيرا من مظاهر عطف الله عليهم وعنايته بهم.

حاجة الناس إلى الدين:

وذلك يتلخص فى أن الأصل فى رعاية البشر من الله سبحانه وتعالى، أن ينزل إليهم الدين كدستور يسيرون عليه فى حياتهم، وكمبادىء يستطيعون بها أن يتفاهموا وأن يدوم بينهم الوفاق، ليتعاونوا على أعباء الحياة وتكاليف العيش. والدين المنزل من السماء هو وحده الذى يستطيع ذلك. فلا يعقل أن يخلقهم الله دون أن يرسل إليهم أنبياء بدين يهديهم فى حياتهم، وخاصة إذا تصورنا الإنسان فى بدء الخليقة وما هو محوط به من بداوة وتأخر وبعد عن العلوم والفنون.

فخلق آدم ثم أولاده وجعله فيهم رسولا، ثم أرسل نوحا، ثم إبراهيم ثم موسى وبقية أنبياء بنى إسرائيل وغيرهم من الأنبياء والرسل العرب إلى محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين.

وهكذا فلم يكن من الجائز عقلا ولا شرعا، أن تحيا البشرية من يوم أن خلقت إلى الآن، دون هؤلاء الرسل والأنبياء.

وحدة الدين بين الأنبياء جميعهم:

وقد تتابع هؤلاء الرسل، لغرض واحد تشابهوا جميعا فيه واتفقوا فى الدعوة إليه وهو هداية الناس وتعريفهم بالله كخالق رازق محيٍ ومميت، وأنه تجب له الطاعة وتجب له العبادة، وأن يتقيه الناس فى أنفسهم كما أن هؤلاء الرسل والأنبياء قد جاءوا لصنف واحد أو صنفين من المخلوقات وهم الإنس والجن فقد تشابهت الدعوة واتحد الغرض فيها، وتشابه المدعوون أيضا فلابد وأن تتحد المبادىء التى تقوم عليها هذه الدعوة. ومن هنا كان الدين الذى أتوا به جميعا واحدا وقد سماه الله سبحانه (الإسلام) فنوح عليه السلام يقول لقومه: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٧٢)﴾ [يونس: ٧٢].

ودين إبراهيم عليه السلام كان هو الإسلام، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧)﴾ [آل عمران: ٦٧].

وقال عنه جل شانه: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩) وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَٰهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣)﴾ [البقرة: ١٢٩ - ١٣٣].

ويوسف عليه السلام ما جاء إلا بالإسلام، وذلك حيث يدعو الله سبحانه: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (١٠١)﴾ [يوسف: ١٠١]

وموسى عليه السلام يخاطب قومه ويقول لهم: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَا قَوْمِ إِن كُنتُمْ آمَنتُم بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ (٨٤)﴾ [يونس: ٨٤]. وهم يردون على فرعون تهديده بعد أن أسلموا بقولهم: ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلاَّ أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦)﴾ [الأعراف: ١٢٦].

وفى النهاية يعترف فرعون بأن دين موسى هو الإسلام ويعلن إسلامه حيث لا يقبل منه ذلك حين كان فى الحشرجة ووقت لفظ الروح فيقول: ﴿ آمَنتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ (٩٠) ﴾ [يونس: ٩٠].

وسليمان عليه السلام يستخدم البسملة التى جاء بها القرآن كآية من كل سورة منه فى خطابه لملكة سبأ ويدعوها هى وقومها الى الإسلام: ﴿ إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣٠) أَلاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ (٣١) ﴾ [النمل: ٣٠، ٣١]. ويتحدث سليمان عن علمه واسلامه فيقول ﴿ فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ (٤٢) ﴾ [النمل: ٤٢]. ثم تتحدث بلقيس أخيرا بأن ذلك الدين الذى اعتنقته على يد سليمان عليه السلام انما هو الإسلام فتقول حينما قيل لها: ﴿ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٤٤) ﴾ [النمل: ٤٤].

ولوط عليه السلام، إنما جاء بدين الإسلام، والذين آمنوا به قد وصفهم القرآن بأنهم من المسلمين وذلك حيث يحكى قصة إهلاك قرية قوم لوط وأن الله أذن للمؤمنين بالخروج منها، قبل حلول الهلاك بها: ﴿ فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٣٥) فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ (٣٦) ﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦].

ويتحدث القرآن الكريم عن إيمان الحواريين بعيسى عليه السلام وأنه كان الإسلام فيقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ (١١١) ﴾ [المائدة: ١١١].

فدين الأنبياء جميعهم هو الإسلام ولهذا كان الإيمان بهم من تمام الإيمان فما دامت دعوة الأنبياء كلهم واحدة، والهدف منها واحد، فلابد وأن تكون مبادئها واحدة، ودستورها أو دينها واحد فكان من المنطقى أن يجتمعوا كلهم على الإسلام وأن يكون دينهم هو الإسلام ودعوتهم إلى اعتناق الإسلام ولا بدع أن يهضم المسلمون أتباع محمد عليه الصلاة والسلام كل هذا، ويؤمنوا به ويروا أن الإسلام الحق أو الإسلام فقط، إنما هو فى الإيمان بجميع الأنبياء وبجميع ما أتوا به: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٦) ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وليس ذلك إلا اتباعا لرسول الله ﷺ حيث خاطبه الله سبحانه وأمره بذلك في قوله: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [آل عمران: ٨٤].

وهو أيضا خطاب وأمر لكل من آمن بمحمد ﷺ فلا يكتمل ايمان المسلم ولا إسلامه إلا بالإيمان بجميع الأنبياء الذين سبقوا محمدا ﷺ وبما أنزل عليهم لأن الإيمان لا يتبعض، فبما أن الدين واحد فالذين جاءوا بالدين أيضا هم كالشخص الواحد، ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: (الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله).

لا إيمان لأتباع الأنبياء السابقين إلا بالإيمان بمحمد ﷺ: ويترتب على ذلك أيضا، أن من أدرك محمدا ﷺ أو دينه من اليهود أو النصارى، فلكي يكون مؤمنا بنبيه لابد وأن يؤمن بمحمد ﷺ وإلا كان كافرا بنبيه أيضا، «فإن الأنبياء المتقدمين بشروا بنبوة (محمد ﷺ)، فمن جحد نبوته، فقد كذب الأنبياء قبله فيما أخبروا به وخالفهم فيما أمروا وأوصوا به من الإيمان بمحمد ﷺ فالتصديق به لازم من لوازم التصديق بهم.

ويعلل ابن القيم أيضا لذلك فيقول: «فكما أنه لو لم يظهر محمد ﷺ، لبطلت نبوات الأنبياء قبله لأنهم بشروا به وأخبروا)، فكذلك إن لم يصدق لم يمكن تصديق نبي من الأنبياء قبله[1]». فالذي يعلن أنه مصدق بموسى أو عيسى ويكذب بمحمد ﷺ، يغالط نفسه لأن تكذيبه بمحمد تكذيب لموسى أو عيسى وكذلك من يؤمن بموسى دون عيسى أو يؤمن بعيسى بدون موسى. كل أولئك مكذبون وليسوا بمؤمنين[2]».

وقد فطن لهذا المبدأ بعض المعاندين لرسول الله ﷺ من أهل الكتاب والمشركين.

فيروى ابن القيم أنه لما علم بعض علماء أهل الكتاب «أن الإيمان بموسى لا يتم مع التكذيب بمحمد، كفر بالجميع، وقال «ما أنزل الله على بشر من شيء».

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٦٦٠ ضمن مجموعة (الجامع الفريد).

(٢) قارن ابن القيم في المصدر المتقدم ص ٦٦٣.

وقد قال تعالى ناعيا عليهم ذلك ﴿ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ (٩١) ﴾ [الأنعام: ٩١]. وقيل نزلت فى مشركى قريش حيث أنكروا النبوات عموما لكى يتم لهم جحد رسالة الرسول محمد ﷺ (١).

فعلى التقديرين تبين لهؤلاء المكذبين، انه لا يتم لهم إنكار نبوة النبى ﷺ إلا بهذا الجحد والتكذيب العام « ورأوا أنهم إن أقروا ببعض النبوات وجحدوا نبوته ﷺ ظهر تناقضهم وتفريقهم بين المتماثلين (٢) ».

وبهذا فقد خرجوا من حظيرة الدين عموما، وأصبحوا مشركين جاحدين لوجود الله لأن من كذب بالرسل فقد كذب بجميع ما أتوا به واخبروا به عن وجود الله وتوحيده وجميع ماجاء به الأنبياء فى صفاته وأسمائه فقد أصبح المكذب لرسول أو أكثر مكذبا بوجود الله منكرا التوحيد والبعث والحساب والجزاء واليوم الآخر، ولذلك لا نجد للجنة والنار عند مسيحيى (٣) اليوم ذلك المعنى الحسى الموجود فى القرآن الكريم، والذى يؤمن به المسلمون.

وهذا هو ما أشارت اليه الاية المتقدمة: « وما قدروا لله حق قدره إذ قالوا: ما أنزل الله على بشر من شيء. « فيقول ابن القيم فى ذلك: ان الله سبحانه أخبر » إن من جحد أن يكون قد أرسل رسله وأنزل كتبه لم يقدره حق قدره وانه نسبه الى مالا يليق به من انكار دينه وإلهيته وحكمته ورحمته بخلقه من إرسال الرسل لهدايتهم وإخراجهم من الظلمات إلى النور وانه خلق خلقه عبثا وباطلا، وانه خلاهم سدى وهذا لا يتفق مع كماله. كما أن هذا الجاحد يعتبر بمثابة من عبد مع الله إله غيره فهو لم يقدره حق قدره، معطل جاحد لصفات كماله، ونعوت جلاله وإرسال رسله. وإنزال كتبه (٤).

الدين السماوى دليل وجود الله سبحانه. فالتوحيد والإقرار بالألوهية « مرتبط

---

(١) المصدر المتقدم ص ٦٦٠ – ٦٦٣.

(٢) نفس المصدر ص ٦٦٢.

(٣) وكذلك مسيحى الأمس من بعد التبديل، انظر (رسالة: ابن سينا والبعث) تحقيق الدكتور سليمان دنيا ص ٤٠، ٦١.

(٤) ابن القيم: المصدر المتقدم ص ٦٦٠ – ٦٦٣.

بالاعتراف بالرسل والأنبياء. والتكذيب بأحد هذين تكذيب بالآخر[1]. ومن هنا كان المسلم هو الموحد وهو المؤمن بوجود الإله الواحد الأحد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد؛ لأنه آمن بجميع أنبياء الله ورسله وكان الإسلام هو الدين الحق الذى يسير مع الواقع، ومع الفطرة مع المنطق والعقل، وكان «دين الإسلام هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين» وكان قوله تعالى «ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه»، (عاما فى كل زمان ومكان)[2].

وحينئذ فلا اعتبار لغير الدين الذى جاء به محمد ﷺ خاتما ومكملا للدين قبله كما قال تعالى: (إن الدين عند الله الإسلام)، وكما قال: (اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى، ورضيت لكم الإسلام دينا).

ومن هنا أيضا كانت شريعتنا هى شريعة الأنبياء قبلنا وفى ذلك يقول الإمام ابن تيمية: «فدين الأنبياء واحد، وان تنوعت شرائعهم كما فى الصحيحين عن النبى ﷺ: «إنا معشر الأنبياء ديننا واحد».

ويستدل على ذلك أيضا بقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

وبقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ [الشورى: ١٣].

ولذلك كان من أبرز الدلائل على هذه الوحدة تبشير الأنبياء ببعض واعتراف المتأخر منهم برسالة السابق عليه وتصديقه فيها فقد بشر موسى عليه السلام بعيسى ومحمد ﷺ ففى الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية «يا الله الذى تجلى نوره من طور سيناء وأشرق نوره من جبل سعير، ولوح به من جبل فاران وأتى ربوة القدس بشريعة نور فى يمينه لهم». ويعلق الإمام الشوكانى على ذلك فيقول: «قال جماعة من العلماء: ان

---

(١) انظر: ابن القيم فى (هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى) ٦٦٣ - ٦٦٣.

(٢) انظر: ابن تيمية فى الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان ص ٨٠ - ٨١ طبعة الجندى. الطبعة الثانية.

معنى تجلى نور الله سبحانه من طور سيناء أو مجيئه من طور سيناء (كما جاء فى بعض الروايات) هو إنزاله التوراة على موسى بطور سيناء ومعنى إشراقه من جبل سعير أو سيعير: إنزاله الإنجيل على المسيح وكان المسيح من سعير أو ساعير... الخ، ومعنى لوح به من جبال فاران أو استعلن من جبال فاران إنزاله القرآن على محمد ﷺ وجبال فاران هى جبال مكة بلا خلاف بين علماء المسلمين وأهل الكتاب[1]».

ومن البشارات التى جاءت فى الإنجيل بمحمد ﷺ ما يرويه الإمام الشوكانى عن الإنجيل انه جاء فى الاصحاح الخامس عشر من إنجيل (يوحنا): «إن الفار قليط روح الحق الذى يرسله الله هو يعلم كل شيء». وفى موضع آخر منه: «والفار قليط روح القدس الذى يرسله الله هو يعلم كل شيء وهو يذكركم ما قلت لكم هذا، حتى إذا كان يؤمنون به، ولا يشكو فيه[2].

وقد أشار القرآن الكريم إلى بشارتى موسى وعيسى عليهما السلام بمحمد ﷺ فقال: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٥٧)﴾ [الأعراف: ١٥٧].

بقيت نقطة أخيرة. وهى إذا كان دين الأنبياء واحدا، فلماذا اختلفت شرائعهم فى بعض الأحكام والتشريعات فى بعض الفروع من تشديد، وتخفيف وتحريم وتحليل الخ ما هنالك من الأمور الفرعية التى ليست بأصول للدين؟

والإجابة على ذلك أن هذا الاختلاف طبيعى، فهو فى الفرعيات دون الأصول فكل الشرائع تجمع على التوحيد وتجمع على تحريم القتل وتجمع على القصاص ورجم الزانى وقطع يد السارق إلخ. ولكن جاء هذا الاختلاف الشكلى والفرعى نتيجة لاختلاف الأزمان والأقوام والأماكن التى أرسل فيها الرسل لأن الناس يختلفون من زمن إلى زمن ومن مكان الى مكان وما يصلح هؤلاء لا يفيد أولئك، والبشرية بدأت بدائية ثم سارت

---

(١) قارن: سفر التثنية فى التوراة: آية ٣٠.

(٢) انظر: صدر فصل النبوات من كتابه: (إرشاد الثقات إلى اتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات) تحقيق د. إبراهيم هلال فهناك شرح لكلمة (فارقليط) وتفصيل فى بشارات عيسى (ص).

فى طريق التطور والنضج العلمى والفكرى شيئا فشيئا. فلزم أن تساير الشريعة كل هذه المستويات. فكل نبى أتى بحلقة من حلقات هذا الدين تتوافق مع طباع البشرية وعقلياتها وحاجات عصرها فى حياتها المتطورة؛ حتى إذا وصلت البشرية إلى درجة النضج الكامل وذلك فى عصر المبعث المحمدى وافق ذلك أن تأتى الحلقة الأخيرة على يد محمد ﷺ. وبها يكمل بناء الدين ويتم نور الله إلى البشرية، فجاءت حلقة جامعة عامة فيها شفاء للناس وحل لكل مشكلات الخلق فى كل زمان ومكان إلى أن تقوم الساعة، حيث إن البشرية قد كمل نضجها حين قدوم هذه الرسالة الجديدة رسالة محمد ﷺ التى هى آخر حلقة من حلقات اكتمال الإسلام وآخر حجر فى تمام بنائه وقد أشار رسولنا محمد ﷺ إلى هذا فقال: «مثلى ومثل الأنبياء قبلى، كمثل رجل بنى بنيانا فأحسنه وأجمله، فجعل الناس يطيفون به ويقولون ما رأينا بنيانا أحسن من هذا الا هذه اللبنة فكنت أنا تلك اللبنة».

وفى رواية أخرى «مثلى ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى دارا، فأتمها وأكملها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها، ويتعجبون منها ويقولون: لولا موضع اللبنة. قال رسول الله ﷺ فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء[1].

وعلى هذا فمن يبتغ غير الإسلام دينا، فلن يقبل منه، وهو فى الآخرة من الخاسرين وكما أنه ليس هناك إلا إله واحد فكذلك ليس هناك إلا دين واحد هو ذلك الدين الذى جاء من عنده وعلى ألسنة رسله وهو الإسلام. والدين هو أسلوب التعامل مع الله، وكما أنه لا إله إلا الله أى ليس هناك إلا إله واحد وبما أن الأمر كذلك فليس لله إلا دين واحد يتعامل خلقه جميعهم معه به.

* * *

(١) صحيح مسلم جـ٧ ص ٦٤-٦٥ (باب كونه (ص) خاتم النبيين). طبعة الشعب.